Arab Journal of Sciences and Research Publishing
Volume (8), Issue (1) : 30 Mar 2022
P: 17 - 37

ISSN: 2518-5780

المجلة العربية للعلوم ونشـر الأبحـاث
المجلد (8)، العدد (1) : 30 مارس 2022 م
ص: 17 - 37

Building rhetorical thinking At Ali Ibn Abi Talib and Al-Hasan

Mariah Mohammed Halawani

Hani Farraj Ali Abu Bakr

College of Arabic Language || Umm Al-Qura University || KSA

Abstract: The Purpose of the study: The aim of the study was to highlight the construction of practical rhetorical thinking in the concepts of rhetoric by Imam Ali: `Rhetoric outlines ambiguities and reveals the defects of ignorance, in the simplest form of terms.

While for Hussein, "rhetoric is the disclosure of statement of Mysterious wisdom, and an explanation of an issue", "rhetoric is the distant approximation of wisdom in the simplest terms, by assuming that these concepts are linked to deduction, indications, and evidences. To discover the aspects of rhetoric and rhetorical deduction in these concepts and the extent to which, rhetoric is related to them, in terms of inference issues, understanding and comprehension.

The study attempts to answer the question of whether the limit of the term rhetoric in the first generation includes the meaning of argument, influence and guidance through accomplishing and brevity.

Methodology: the scientific method been utilised, through building on previous established knowledge, assuming that the concept of rhetoric since the first pioneer, are considered as eloquent, precious and comprehensive, solves problems and reveals new facts, eliciting that rhetoric is what the human mind require; wisdom, knowledge and experience.

Themes: the point of the rhetoric limits from (Ali and Al-Hussien) view-points, in terms of reasoning, understanding. standards of comprehension and understanding, and related interpretive aspects of it.

How to read it through seeing the graphic cognitive system, linking issues of comprehension, persuasion, and influence. Besides, the Rhetorical functions and related understanding, clarity, conviction, and inferring and deducing techniques of meanings.

Results: The results indicated that the concepts of rhetoric showed that the building of thinking has an integrated comprehensive conception, which aids in solving problems by clarifying the ambiguous meaning, revealing the knowledge cache, examining and explaining it with the appropriate easy, concise, and eloquent way. As the Rhetoric is an integrated, practical, intellectual approach, in an effectual conscious language.

Keywords: Ali bin Abi Talib, Al-Hasan bin Ali, inference, interpretation, deduction, argument, substantiation and the influence.

بناء التفكير البلاغي عند علي بن أبي طالب وابنه الحسن ﷺ

ماربة محمد حلواني

هاني فراج علي أبو بكر

كلية اللغة العربية || جامعة أم القرى || المملكة العربية السعودية

المستخلص: الهدف الرئيس من الدراسة إبراز بناء التفكير البلاغي العملي في مفاهيم البلاغة(1) للإمام علي: ((البلاغة إيضاح الملتبسات وكشف عوار الجهالات، بأسهل ما يكون من العبارات)) وللحسن ﷺ: ((البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة، وإبانة عن مشكل.))، ((البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة))، بفرض أن هذه المفاهيم مرتبطة بالاستنباط والإبانة والحجاج.

للكشف عن أوجه البلاغة والاستنباط البلاغي في هذه المفاهيم، ومدى ارتباط البلاغة عندهما بمسائل الاستدلال والإفهام والفهم.

محاولة الوصول للإجابة عن تساؤل هل يمكن أن يتضمن حد البلاغة عند الرعيل الأول معنى الحجاج والتأثير والتوجيه إنجازاً وإيجازا.

منهج الدراسة: المنهج العلمي والبناء على المعرفة السابقة بافتراض أن مفاهيم البلاغة منذ الرعيل الأول بيانٌ فكري دقيق شامل يحلّ المشكلات ويكشف حقائق جديدة تستنبط أن البلاغة هي ما يحتاج الفكر الإنساني حكمة وخبرة ومعرفة.

مباحثه: موقع حد البلاغة (عند علي والحسن ﷺ) من الاستدلال والإفهام، ومعايير الفهم والإفهام. ومتعلقات الجوانب التأويلية فيها. كيفية قرأتها برؤية النظام المعرفي البياني الرابط لقضايا الإفهام والإقناع والتأثير. والوظائف البلاغية ومتعلقات الفهم والإبانة والاقتناع وسبل الاستنباط والاستنتاج للمعاني.

أهم النتائج:

1-أنَّ مفاهيم البلاغة دلت على أن بناء التفكير يعتمد على تصور بياني متكامل شامل.

2- أن بناء التفكير البلاغي عملي، يعين على حل المشكلات بإيضاح المعنى الملتبس، وكشف الخبيء المعرفي ومفاتشته.

3- أنَّ البلاغة منهج فكري عملي متكامل بلغة واعية فاعلة، حجاجية تعتمد الاستدلال والاستنباط وفق تأويلٍ منهجي.

التوصية: توصي بالتوسع في دراسة التراث البلاغي فسعة بناء التفكير البلاغي وعمق أسسه وقوتها العملية تكاد تتجلى من بلاغة الصحابة ﷺ.

الكلمات المفتاحية: بناء التفكير البلاغي، علي بن أبي طالب، الحسن بن علي، الاستدلال، التأويل، الاستنباط. الحجاج. التأثير.

المقدمة.

الحمد الله والصلاة على الرحمة المهداة من بصر العقل لنور الله ففكر وأنتج حضارة تبني لما عند الله.

وبعد

فلما كان فرق الإنسان عما خلق المحسن المنان هو الاستطاعة والتمكين، وفي وجود الاستطاعة وجود العقل والمعرفة، ... كان العقل للاعتبار والتفكير والمعرفة؛ ليؤثر الحق على هواه، والاستطاعة لإلزام الحجة كما قال الجاحظ[(2)]، ولما كان البناء الفكري يحتاجه العالم المتخصص الصالح ليكون قادرا على إدراك كليات الحياة ونواميسها، وما بينها من روابط يحقق الإنسان بإدراكها "الإدراك الواعي لمجريات الأمور والأحكام الراشدة على المواقف، والقدرة على الاستنباط والتحليل والوصول إلى نتائج لحل كثير من المشكلات والأزمات التي تواجه الأمة."[(3)] فقد اهتمت الفطرة الإنسانية ببناء هذا الفكر وركز الإسلام عليه.

إذ البناء الفكري هو عملية ومهمة ووظيفة عملية يتحقق من ورائها امتلاك العقل المسلم تصورا متكاملا- عن الكون والطبيعة والإنسان والخالق- يصدر من مرجعيته العليا (الخالق) التي يستطيع برؤيته الإسلامية تفسير الظواهر وردها إلى أسبابها ومسبباتها الحقيقية، وبواسطة هذا الميزان وعملية البناء الفكري للخلق الذي يستطيع أن يولد اقتناعا ويجيب عن التساؤلات الكبرى بالرؤية الإسلامية الفكرية.

(1) العسكري، أبو هلال (1371هـ – 1952م). الصناعتين الكتابة والشعر.. حقق: البجاوي، علي – الفضل، محمد إبراهيم. (ط1) القاهرة : عيسى البابي الحلبي. ص51-52

(2) الجاحظ، عمرو بن بحر (1424هـ). الحيوان. (ط2) بيروت: دار الكتب العلمية ج 5. ص 287.

(3)حسان، حسان عبد الله (2017م) قراءه في كتاب البناء الفكري مفهومه ومستوياته وخرائطه لفتحي حسن ملكاوي. مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقا) 22(87) 159-139. ص140

فالبناء الفكري وظيفته إعادة تصميم الذهنيات وفق منهجٍ متكاملٍ متوافقٍ مع الفطرة والعقل، يتسم بالشمول، والتوازن، والاتساع، والانفتاح، والتعقل؛ فالجانب الفكري كما بَيَّنَ مالك بن نبي أساس مشكلة العالم الإسلامي حاليا؛ لأن الأفكار هي أس المقوِّمات والقوة الأساسية التي تنظم القوى وتوجهها[4]. والبلاغة كما عرفها الرعيل الأول خير معين على حل المشكلات، كما قال علي بن أبي طالب، ﷺ في توصيفه للبلاغة والبليغ وحدود ذلك وعلاقته بالمعنى ((البلاغة إيضاح الملتبسات[5] وكشف عوار الجهالات[6]، بأسهل ما يكون من العبارات)) [7]

فالبلاغة تتحقق بالإيضاح للمعنى الملتبس، وكشف الخبيء المعرفي ومفاتشته حتى يتضح بالعبارة السهلة الموجزة الواضحة، فالبليغ يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الموجزة القليلة، لتصل لقلب المتلقي وتؤثر في عقله وانفعاله، وفق منهجٍ يتسم بالشمول المتوازن الساعي بمفتاح الفكر البلاغي لإيصال الأفكار التي بين مالك بن نبي أهميتها؛ لأنها القوة الأساسية التي تنظم القوي المجتمعية وتوجهها [8] وفق علاقة الفكر بالقران والسنة وما في التراث الإسلامي من الإيمان بالفكر والعمل والعلم منهجا متكاملا يظهر في تعريف علي ﷺ ، مما يجعل هم القارئ محصورا على استنباط ما يجعله يفهم ويستوعب العلم ويُعَمِر ويفيد بلغة مضبوطة، وهذا استنبط من قولي الحسن بن علي ﷺعن ((البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة[9]، وإبانة عن مشكل[10][11]. و((البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة)).[12]

مشكلة الدراسة:

تفترض الدارسة أن أبلغ بلاغة فكرية هي البلاغة العربية التي كان هدفها فهم المعجز ودلائل الإعجاز، بينما يعد بعض الدارسين البلاغة الفكرية جديدة- لأنها قائمة على أبعاد: الفكر والنص والحياة - ومن الأمور المستمدة من فكر الآخر ويظن أن البلاغة العربية بلاغة تعليمية وئدتْ وجَمُدَتْ، ولبيان أصالة وحيوية التفكير البلاغي العربي يرجع البحث إلى نصوص علي بن أبي طالب والحسن يبحث فيها عن حل للإشكالية التي تحددها التساؤلات التالية:

1. ما موقع هذه النصوص من الاستدلال والإفهام والفهم، وتأويل مفهوم البلاغة؟

---

(4) السابق. 139-142

(5) "لبس: وفي التنزيل العزيز: وللبَسْنا عليهم ما يَلْبِسُون؛ يقال: لَبَسْت الأَمر على القوم أَلْبِسُه لَبْساً إِذا شَبَّهْتَه عليهم وجَعَلتَه مُشْكِلا." محمد بن مكرم ابن منظور. (1414ه) لسان العرب دار صادر – ط3.-. فصل اللام: مادة: لبس. ج: 6 ص: 204 مُلْتَبِسٌ: (فاعل من اِلْتَبَسَ). :-كَلاَمٌ مُلْتَبِسٌ :- : غَامِضٌ، غَيْرُ وَاضِحٍ. :-مَعْنًى مُلْتَبِسٌ :- :-مُلْتَبِسٌ فِي كَلاَمِهِ. معجم: الغني

(6) جهل: "الجَهْل: نقيض العِلْم، وقد جَهِله فلان جَهْلاً وجَهَالة، ...والجَهَالة: أَن تفعل فعلاً بغير العِلْم. جَهالة: نَقْص في العِلْم والمَعرفة، جَهْل تامّ مُطْبِق. لسان العرب. مرجع سابق. فصل الجيم، مادة جهل. ج:11. ص: 129

(7) الصناعتين الكتابة والشعر. أبو هلال العسكري. حقق: علي البجاوي - محمد إبراهيم. نشر عيسى البابي الحلبي. ط1: 1371ه – 1952م. ص51-52

(8)ابن نبي، مالك بن الحاج عمر (2002م). مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. (ط1: 1988م). إشراف وتقديم: المحامي عمر مسقاوي. نشر: دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان / دار الفكر دمشق – سورية.

(9) كَلاَمٌ غَلِقٌ: مُبْهَمٌ، مُلْتَبِسٌ والمفعول مستغلَقٌ عليه (معجم المعاني الجامع) فالمستغلق منه شديد الابهام والالتباس، ويقول (أ.د. محمد جمال صقر)"لو لم يكن لكل مستغلق مفتاح ما استغلق، ...كل مستغلق فإنه إنما يستغلق على ما فيه لينفتح فيستغلق فينفتح - هكذا دواليك- ليصونه لمن يستحقه، ويبذله له وقتما ينتفع به."

(10) مُشكِل: اسم فاعل من أشكلَ. المُشْكِلُ (عند الأصُوليين): ما لا يُفهم حتى يدل عليه دليل من غيره. المُشْكِلُ: أَمْرٌ صَعْبٌ، مُلْتَبِسٌ، غَامِضٌ (معجم: المعاني الجامع)

(11)الصناعتين. السابق

(12) المصدر السابق

2. ما معايير الفهم والإفهام فيها؟
3. ما متعلقات الجوانب التأويلية في هذه النصوص؟
4. كيف نقرأ هذه النصوص بضوء النظام المعرفي الذي يربط قضايا الفهم والإفهام والإقناع والتأثير؟
5. من خلال مفهوم البلاغة والوظائف البلاغية مرتبطة بمفاهيم ومتعلقات الفهم والإفهام والإبانة والإقناع والاقتناع وسبل الاستنباط والاستنتاج للمعاني كيف يمكن أن تقع أو تؤول وفق هذه الرؤية؟

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة: أن مفاهيم البلاغة عند علي بن أبي طالب وابنه الحسن (رضوان الله عليهما) مرتبطة بالاستنباط والإبانة والحجاج.

فمن خلال تأمل النصوص مبدئيا يبدو:

1. ارتباط المفاهيم بالاستنباط في " إفصاح قول عن حكمة مستغلقه... إلخ"
2. ارتباط المفاهيم بالإبانة في" البلاغة إيضاح الملتبسات"
3. ارتباط المفاهيم بالحجاج "وكشف عوار الجهالات"
4. كما أنَّها تشير لأهمية الإيجاز، وهذا يحيل لاهتمام البليغ بحسن العبارة، ليحسن تلقيها.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

1. بيان مفهوم البلاغة في القرن الأول، والكشف عن نوعية المفاهيم البلاغية الحديثة الكامنة فيها .
2. الكشف عن كيفية مراعاة المقال للمقام والرؤية التي تنطلق منها البلاغة في هذه المفاهيم.
3. ربط بناء التفكير البلاغي بالمفاهيم الحجاجية.
4. إيضاح المدى العملي لبناء التفكير البلاغي.
5. إبراز المنهج الذي يحتويه حدَّ البلاغة عند علي بن أبي طالب والحسن ابنه ﷺ .

أهمية الدراسة:

تنبع الأهمية العلمية للدراسة من أن الكثير من الدعاوى القائمة في المجالات العلمية في هذه الأيام تتهم البلاغة العربية بالجمود والتقعيد بل النعت بالموت بينما الحقيقة أن البلاغة حيوية بحياة اللغة والعلوم وهي كذلك منذ تأسسها؛ فنظرة للتراث العربي تبرز مدى فاعلية البلاغة فقد ذُكرت هذه التعاريف في القرن الأول الذي تعد أقواله من الحجج وخصوصا وأن القائلين من الصحابة ﷺ، ذكر العسكري لهذه المفاهيم في الباب الأول موضوع البلاغة في أصل اللغة وما يجري معه من تصرف لفظها وذكر حدودها وشرح وجوهها. القول في تفسير ما جاء عن الحكماء والعلماء في حدود البلاغة. فمن المهم التثبت من المعلومات التي ترد على الباحث خصوصا ما يكون منطلقا تجاه علمٍ لا يكون فهم الإعجاز إلا به؛ فلا يهتز في نظر الأجيال الناشئة التي يجب على الباحثين أن يبينوا لهم المسار الصحيح.

الدراسات السابقة.

لم أقف على دراسات تخصصت في هذا الموضوع إلا أن بعض الدراسات تضمنت إشارات لمفهوم البلاغة عند علي بن أبي طالب أو مفهوم البلاغة عند الحسن بن علي كدراسة "التطور البلاغي من العصر الجاهلي حتى

عصر عبد القاهر الجرجاني" و"تأصيل البلاغة" و"دراسة لتعريف الحسن علي بن أبي طالب للبلاغة ومدى تحقيقه للوظائف البلاغية"

منهجية الدراسة.

لما كان الهدف من الدراسة أن تعمل الطالبة فكرها فيما قال الإمام علي والحسنﷺ بالتأمل والنظر ومحاولة التبصر لبيان أوجه البلاغة والاستنباط البلاغي في هذه النصوص، والفكرة البلاغية فيها، وتحديد مفاهيم البلاغة فيها، وارتباط البلاغة بمسائل الاستدلال والإفهام والفهم،

كانت المنهجية التحليلية في المنهج العلمي الذي يتبع البناء على المعرفة السابقة بافتراض أن مفاهيم البلاغة منذ الرعيل الأول بيانٌ فكري دقيق شامل يحلِّ المشكلات ويكشف حقائق جديدة تستنبط أن البلاغة هي ما يحتاج الفكر الإنساني حكمة وخبرة ومعرفة.

ومصادر البيانات، أبرزها

- الحيوان. عمرو بن بحر، الجاحظ (ت 255هـ). دار الكتب العلمية – بيروت. ط2: 1424هـ.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ). الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط4
- شرح المقاصد. مسعود بن عمر بن عبد الله [سعد الدين التفتازاني]. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. منشورات الشريف الرضي. ط1.
- الصناعتين الكتابة والشعر. أبو هلال العسكري. حقق: علي البجاوي - محمد إبراهيم. نشر عيسى البابي الحلبي. ط1: 1371هـ – 1952م

أ- حدود الدراسة:

تنطلق الدراسة من نص علي بن أبي طالب: ((البلاغة إيضاح الملتبسات وكشف عوار الجهالات، بأسهل ما يكون من العبارات))، وقولي الحسن بن علي بن أبي طالب: ((البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة، وإبانة عن مشكل". ((البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة.)). لمحاولة التعرف على:

موقع هذه النصوص من الاستدلال والفهم والإفهام، بتأويل مفهوم البلاغة. ومعايير الفهم والإفهام في نصوص حد البلاغة. ومحاولة تبصر كيفية قراءة هذه النصوص في ضوء النظام المعرفي الذي يربط قضايا الفهم والإفهام والإقناع والتأثير. إبراز متعلقات الجوانب التأويلية في هذه النصوص. ومن مفهوم البلاغة والوظائف البلاغية مرتبطة بمفاهيم ومتعلقات الفهم والإفهام والإبانة والإقناع والاقتناع وسبل الاستنباط والاستنتاج للمعاني من هذه النصوص وكيف يمكن أن تقع الوظائف أو تأول وفق هذه الرؤية الفكرية الإسلامي؟

هيكلة الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، وعلى النحو الآتي:

- المقدمة: وتضمنت ما سبق.
- المبحث الأول: الإطار النظري للبلاغة عند علي والحسن.
- المبحث الثاني: معايير الفهم والإفهام فيها.
- المبحث الثالث: قراءة النصوص بالنظام المعرفي الذي يربط قضايا الفهم والإفهام والإقناع والتأثير.
- المبحث الرابع: أبرز متعلقات الجوانب التأويلية في هذه النصوص.

- المبحث الخامس: مفهوم البلاغة والوظائف البلاغية وكيف وقوعا أو تأويلها وفق رؤية النظام المعرفي.
- الخاتمة: خلاصة بأهم النتائج. التوصيات والمقترحات.

المبحث الأول- الإطار النظري للبلاغة عند علي والحسن

انطلقت الدراسة من تحدث "الجاحظ" وما رصد العلماء منهم أبوهلال في الصناعتين عن البيان ونقل حد البلاغة مما وصلهم من كل الثقافات، نقل أقوال علي والحسن ﷺ وهما من أبرز الصحابة في القرن الأول، وكان يُظن -بناءً على ما طغى على الساحة العلمية من زعم جمود البلاغة العربية- أنه لا ارتباط له بتعريف البلاغة الآن، وأن البلاغة علمية للتقعيد في الحضارة الإسلامية وأنها ارتبطت بالعصور التي بدأت فيها المناقشات في علم الكلام بالمعتزلة وقضايا الإعجاز في القرن الثاني أو الثالث، إلا أن هذه النصوص تلفت لمكنون حد البلاغة في القرن الأول وتبرز جانبا عمليا وشموليا مهما، كما تتضمن ما يسمى حديثا بالبلاغة الكلية . فعلى هذا بدأ النظر للتفكير البلاغي من منظور مختلف، فالبلاغة في المفاهيم (مفاهيم الرعيل الأول) تواصلية تأثيرية تداولية، قوامها الحجة المقنعة، والألفاظ الحاملة والمعاني القائمة، وهدفها الإيضاح للإفهام فالإقناع بمراعاة المقال للمقام وفق رؤيةٍ شمولية للنظام المعرفي الإسلامي. وعليه كان الإطار النظري تضمن المباحث التالية:

1- موقع نصوص علي والحسنﷺ من الاستدلال والفهم والإفهام
2- معايير الفهم والإفهام في حد البلاغة عند علي بن أبي طالب وابنه الحسن ﷺ، وتأويل مفهوم البلاغة.
3- يركز على كيفية قراءة هذه النصوص بضوء النظام المعرفي الذي يربط قضايا الفهم والإفهام والإقناع والتأثير،
4- وعليه تبرز متعلقات الجوانب التأويلية في هذه النصوص، ومدى ارتباط مفهوم البلاغة والوظائف البلاغية بمفاهيم ومتعلقات الفهم والإفهام والإبانة والإقناع والاقتناع
5- وسبل الاستنباط والاستنتاج للمعاني من هذه النصوص، كيف يمكن تأويلها وفق هذه الرؤية.

المبحث الثاني- موقع مفاهيم البلاغة عند علي والحسنﷺ من الاستدلال والفهم والإفهام، وتأويل مفهوم البلاغة

يظهر موقع هذه الحدود التي حدها علي والحسن من الاستدلال إذا عُرف أن المُشْكِلُ يُفهم إذا دل عليه دليل من غيره. والمستغلق يفتحه البحث عما يناسبه من مفاتيح كما قد يحوج لصيانة علم المتلقي ومراجعة وطول ملابسة لكلام العلماء الذي يقود بالدليل أو الدلالة للفهم والافهام إذ التواصل فيها مبدأه معرفة كيف تتم عملية التواصل؟ فتظهر الآليات والتقنيات التي تتم بها نجاعة التواصل، فالمفاهيم/ الحدود للبلاغة منذ الصحابة تهتم بكيفية اشتغال الذهن البشري في ترتيبه للأفكار والتعبير عنها في كافة مجالات الحياة..

فدلالة الدليل إذن نوع من أنواع البلاغة وقيام الدليل بمصطلح الاستدلال ومن خلال التعرف على الاستدلال في المعاجم اللغوية: "تقديمُ دليلٍ أو طَلَبُه لإثبات أمرٍ معين أو قضيةٍ معينةٍ." فقد حملت النصوص هذه الدلالة في معنى البلاغة فـ"إيضاح الملتبسات وكشف عوار الجهلات" "وتقريب بعيد الحكمة" "والإفصاح عن حكمة مستغلقة والإبانة عن مشكل "يحتاج إلى طلب وهذا الطلب الفكري يصوغه الاستدلال اصطلاحًا: "عملية تفكيرية تتضمن وضع الحقائق أو المعلومات بطريقة منظمة، بحيث تؤدي إلى استنتاج أو قرار أو حل لمشكل".[13]

(13) ينظر معوض، موسى نجيب (1435هـ). مهارات الاستدلال. موقع الألوكة

والبلاغة تنزع للتَّأويل وتجتهد لتبقى وفية للنَّظر إلى النص نظرًا منهجيًّا يستثمر قواعد تركيبية ودلالية وتداولية، مما يسمح بإدراك انفتاح كلِّ النُّصوص وقابليَّتها الأكيدة للتَّأويل الذي لا ينتهي عند حدٍّ.

وتأويل مفهوم البلاغة في النصوص الثلاثة مرتبط بأن البلاغة هي المنطلق والغاية؛ وبأدواتها وأدوات علوم الفهم والإفهام[14] يتوصل إلى الواقع البلاغي للعلوم والمسائل العلمية، فنشأتُ هذه النصوص بين "فرسان الكلام وجهابذته" في مجالٍ ثقافي تمحورت فيه الجهود حول فقه الحياة التي تدل آياتها على الله من خلال: ((تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما : كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .))[15]هذا الفقه يقوم على التفكر في الأمر الذي يحتاج والتفكير في ما يناسبه من حلول ثم إبداء المعلومة أو الرأي ومن هنا فالبلاغة هي البيان الواضح النافع للبشرية إذا اعتبرت نماذج مثلى لكلِّ متكلم يود إدراك بلاغة العرب وتحصيل ملكة لسانهم. هذا بالضَّبط ما يقوله ابن خلدون، مثلاً، في الفصل الذي خصَّصه لعلم البيان من مقدمته: ((واعلم أنَّ ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن؛ لأنَّ إعجازه في وفاء الدَّلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكمال، مع الكلام فيما يختص بالألفاظ، في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن دركه. وإنما يُدركُ بعض الشَّيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللِّسان العربي وحصول ملكته، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه. لهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مُبلغه ﷺ أعلى مقامًا في ذلك؛ لأنهم فرسان الكلام وجهابذته، والذَّوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحِّه..))[16]

والقدرة على تحسين الكلام مما يستلزم تأدية اللُّغة مرتكزة على الدِّقة والتَّحديد "خطاب الحقيقة"، بما يناسب المخاطب فسهولة العبارة تكون بحسب حاله وطبقته ومقامه؛ فهذه النصوص دلَّت على مضمون "الاستدلال" المستخدمُ للدلالة على معانٍ مختلفة؛ من بينها: التعقل أو التفكير المقعد [بقواعد علمية]، إقامة الدليل أو الحجة، أو التعليل بالسبب الداعم لرأي أو قرار أو اعتقاد. وتفعيل العملية العقلية [المَلَكَة] التي توصُّل إلى قرار أو استنتاج. مع التمكن من الإقناع [المعتقد] مقابل الإيمان الفطري. والاقتدار على الاستنباط والاستقراء في المنطق والفلسفة. وامتلاك الذكاءات أو التدرب على امتلاك بعض مكونات السلوك الذكي للقدرة على حل المشكلات وتوليد معرفة جديدة باستخدام قواعد وإستراتيجيات معيَّنة في التنظيم المنطقي للمعلومات المتوافرة.[17]

ومبدأ السهولة الذي ورد في نص علي﵁ وتعريف الحسن "بأسهل" ودلت محاور الجُمَل (ج: جملة). وعليه يجب التعريف بمبدأ السهولة الذي أشار إليه باير (Beyer, 1987) أثناء حديثه عن الاستدلالَ: "مهارة تفكيرية، تقوم بدور المسهِّل لتنفيذ أو ممارسة عمليات معالجة المعلومات التي تضم التفسير والتحليل والتركيب والتقييم، ويضعه في المستوى الثالث من عمليات التفكير المعرفية بعد إستراتيجيات التفكير المعقدة، وهي (حل المشكلات، واتخاذ القرار، وتكوين المفاهيم)، ويصنف الاستدلال ضمن مهارات فرعية، هي: الاستدلال الاستقرائي، الاستدلال الاستنباطي، والاستدلال التمثيلي، وهناك مَن يضيف مهارة رابعة هي الاستدلال السببي(أي إظهار العَلاقة بين السبب والنتيجة كأحد أشكال الاستدلال العقلي) .[18]

---

(14) علوم اللسان

(15) رواه مالك مرسلا (الموطأ). الدرر السنية - الموسوعة الحديثية(dorar.net)

(16) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1988م) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (ط2).تح: خليل شحادة. دار الفكر- بيروت. ج1. ص762

(17) ينظر: مهارات الاستدلال. السابق.

(18) السابق.

الاستدلال الصائب يجعل الفرد أكثر اقترابًا من الحقائق مما يسهم في الفهم والافهام يظهر من خلال ما لاحظه محمد أبو موسى من اهتمام العلماء الذين شاركوا في تأسيس العلوم ببيان الخطوات التي سلكوها في استنباط حقائق العلوم فكانوا يزاوجون في إعداد الجيل الذي يخلفهم بين تعليم أصول العلم (العلم) وكيف استخرجت هذه الأصول (علم صناعة العلم).[19]

وكلمة "الحِكْمَة" محور جامع مانع لكل ما سبق، والحِكْمَةُ: "علمٌ وتفقُّهٌ بحقائق الأشياء. "حِكْمةُ لُقْمان" ومَعْرِفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم."[20] يقال "هُوَ مِنْ أَهْلِ الحِكْمَةِ: مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالفَلْسَفَةِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالتَّبَصُّرِ بِحَقَائِقِ الأُمُورِ وَكُنْهِهَا وَجَوْهَرِهَا".[21] ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾[22] و"حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ : قَوْلَةٌ تَتَضَمَّنُ رَأْياً حَكِيماً مُوَافِقاً لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ"، وإنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً (حديث)" فالحكمة في هذا علمية معنوية وهي أيضا عملية كما في "عَامَلَهُ بِحِكْمَةٍ وَأَنَاةٍ فَأَفْسَدَ عَلَيْهِ غَضَبَهُ : ضَبْطُ النَّفْسِ وَالتَّرَوِّي " و"الحِكْمة المنزليَّة: (الفلسفة والتصوُّف) علم يُبحث فيه عن مصالح جماعة مشتركة في المنزل كالولد والوالد والمالك والمملوك"[23]ومن الحكمة ما يرتبط بالاستدلال وهو معنى: العلَّةُ.[24] فالعلل يستدل عليها بإعمال الفكر والفقه للوصول إلى الصَّواب قولا وعملا، وأدوات الحكمة "العقل والفهم والفطنة وإصابة القول"[25] الذي به تكون البلاغة.

المبحث الثالث- معايير الفهم والإفهام في النصوص التي فيها حد البلاغة

مفهوم الفهم: عند علماء اللغة مادة: «فهم: فَهِمتُ الشَّيء: عقلْتُه وعرفْتُه، وفَهِمتُ فُلانًا، وأَفْهمتُه وتَفَهم الكَلاَم: فهِمه شَيئًا بعد شيء».[26] إن فهم الشيء بمعنى معرفته بالعقل، وللفهم حالات هي: الفهم والتفهم والإفهام، فالفهم يكون من جهة المتلقي، والإفهام من جهة المرسل، "وأَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إياه: جعله يَفْهَمُه."[27]

"الفَهْمُ: حُسنُ تصوّر المعنى. الفَهْمُ: جودةُ استعداد الذهن للاستنباط. سُوء الفَهْم: عدم فهمه على الوجه الصحيح. فَهْمُ الدَّرْسِ: إِدْرَاكُهُ وَتَحْصِيلُهُ"[28]

"اصطلاحا: تطرق علماء البلاغة للفهم في معرض حديثهم عن بلاغة الكلام وصفات الأديب، ومنها «الفطنة هي الفهم والذكاء، وهي مهمة للأديب» تعد الفطنة من خصائص الفهم، وهي من صفات الأديب وتميز أسلوب هو ربط العلماء العرب بين الفهم والفطنة.

---

(19) أبو موسى، محمد(1419هـ).. مناهج علمائنا في بناء المعرفة محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية. جامعة أم القرى. ص186(وذكر الجاحظ في باب شريف ما في الفكر والنظر من الفضيلة، كيف كانت تجد النفوس الكبيرة لذة الوصول للفكرة- بعد المشقة المحببة في خوض غمار الدرب الشريف -حين يفتح باب العلم بعد إدمان قرعه.)

(20) Oxford Languages القاموس العربي والمعنى الثاني ورد في معظم المعاجم العربية.

(21) معجم الغني

(22) القرآن الكريم: البقرة آية 269

(23) تعريف ومعنى حكمة في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي

(24) يراجع: المعجم الوسيط

(25) القرآن الكريم: لقمان:12 معجم كلمات القران

(26) لسان العرب. السابق. م. فصل الفاء. مادة: فهم ج:12. ص: ٤٥٩

(27) نفس السابق.

(28) تعريف ومعنى الافهام. معجم المعاني الجامع

ورد الفهم بمعنى الفطنة والذكاء واللحن، وهي شروط الفهم الجيد، ومنه الشخص الفاهم هو الفطن الذكي وسريع البديهة، ونقيضه هو سيء الفهم."[29] ومعاير الفهم والإفهام في المفاهيم- التي تنظر إلى البلاغة من زاوية نفعية تهتم بجودة بيان الكلام وسهولته ووضوحه، بمعنى أن شروط القول البليغ فيها:

1- الإيضاح والإفصاح والإبانة، عن كل ملتبس أو مستغلق أو مشكل.
2- كشف عوار الجهالات على الأفهام.

فالرؤية المستمدة من ثقافة عصر صدر الإسلام رؤية شمولية للدين والدنيا، وترشد إلى أهمية أن تتقن خصائص القول الفصيح المحقق لشرط ظهور الحروف ووضوح الألفاظ ويكون ترتيبها يكشف عن المعاني ويقوم بإبانة الغرض المراد وعندها يكون الكلام مفهوما ويؤثر فيقنع أو يقتنع به فيكون التغيير أو التطوير، أما الكلام المستغلق أو المشكل أو الملبس أو البعيد عن الفهم فخارج عن حد البلاغة – فحدود البلاغة عند علي والحسن تقوم على الفهم الجيد:

و"عالج علماء البلاغة قضية سوء الفهم بوضعهم لمعايير تضمن حسن الفهم والتبليغ الجيد،"[30] ومنها:

أ- أن التفاهم بين المتكلم والمتلقي يحصل بالتواصل البليغ الذي يوصل لبلوغ الإفهام "بأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى"؛ فحصول التبليغ يقوم بحسب الجهد الذي يبذله كل مخاطب للفهم عن الآخر، حتى يصلا لحسن الفهم، وهذه غاية "الفهم والإفهام" محور التنظير البلاغي التي يسعى لها ليستفيد من الكلام ويحقق رسالته.

ب- مراعاة مقتضى حال المتلقي: من حيث المسألة أو الأمر أو من حيث سهولة العبارة؛ فهذه الحيثيات إذا لم يراعيها المتكلم ولم يستعد لها المتلقي تؤثر في الفهم وقد ينحرف المعنى عن المراد بسبب المقام، فإذا سأل الملقي المتلقي عن مفهومه قد يتضح له ما فهمه، أو إذا استفهم المتلقي عن ما أشكل عليه في هذا المقام فقد يفهم العبارة بشكل أصح.

ج- تأثير العقل في الفهم: فالفهم ناتج عن إدراك العقل من خلال التفكير في سياق تواصلي يُسهل الغامض. فالبلاغة عمل عقلي متواصل يدرس أبعاد الكلام في المقام ثم يوازنه مع المعاني التي تناسب النفس، ففهم الكلام (الحكمة) يكون وفق العقل؛ لذلك لابد من مواصلة القراءة والبحث والتعلم وكشف عوار الجهالات والبحث عن الحلول لإيضاح الملتبسات وتقريب الأفكار التي يتوصل إليها العقل الباحث بأسهل ما يكون من العبارات كما قال علي ﷺ، وبهذا أفصح القول عن الحكم المستغلقة على العقول ووصل للفهم والإفهام.

د- تأثير البيئة في الفهم: فالبليغ يعايش أحوال المتلقي/ الجمهور ليُفهم، فلكل قوم لغتهم الخاصة يفهمون بعضهم بواسطتها، ويصعب فهم " الحكمة البعيدة" وقد تبدو "الحكمة مستغلقة" بسبب اختلاف البيئة أو الطبقة أو الصناعة، فمعرفة أصول لغة وخصائص ألفاظ بيئته ودلالاتها والرموز الدالة المناسبة تمكن المتكلم من إلهام الأساليب المهمة التي تمكن في فهم المتلقي لمراده فبيئة العلم تختلف عن بيئة القراءة، وهي تختلف عن مجتمع الطريق وكذلك بيئة الأسرة تختلف عن بيئة العائلة؛ فالبليغ يحادث كل مستوى أو بيئة ببيان يبلغ به الفهم والإفهام فيها.

---

(29) دربالي، وهيبة. إشكالية سوء الفهم بين البلاغة العربية والنظريات الغربية الحديثة. جامعة المسيلة- الجزائر. الخطاب. مج14. ع1. ص90

(30) إشكالية سوء الفهم بين البلاغة العربية والنظريات الغربية الحديثة. سابق. ص93

هـ- تأثير الطبع في الفهم: فالكلام ينبغي أن يكون موافق للطبع الذي يفهم به المتلقي، فالكلام العادي لعامة الناس، وأما الغريب من الكلام يفهمه الخاصة؛ فالمؤانسة والألفة بين المتلقي والمتكلم لها دورٌ في الفه، والبعض يحتاج لنمط محدد من الأساليب يفهم به، فالمربي البليغ يدرك أن كل ابن له طبع في الفهم، فبعضهم ينفر من الأمر أو النهي فيُستخدم معه أسلوب التخيير، أو طلب النصح والمقصود توجيهه للمراد. وبعضهم تستخدم معه أسلوبا عكسيا؛ لأن طبعه فعل ما يُنهى عنه. والبعض يحتاج مدارة بشكل أو بآخر ليتقن مهارة تناسب طباعه أو تهذبها، وهذا يكون بالتفاهم الذي يُبصر بكينونة الطباع مما يقود للفهم، ودراسة طبيعة المتلقي مما يساعد فيه.

و- تأثير الأسلوب الأدبي في الفهم: فقد يُنكر بلاغة كلام ((لجفاء طبع الناظر وخفاء غرض الناطق.))[31]فالأسلوب غير المباشر مع الشخص غير المتذوق أو المستعجل مما يتنافى مع البلاغة. أو أن يسلك الأديب مسلك البعد، أو الاستغلاق، أو الإشكال، أو الالباس أدى لسوء الفهم، لذلك الأديب البليغ هو الذي يمس المعاني بلطف ذكي، ويسلك فيها مسالك تجعلها تناسب الخاصة والعامة وأهل البيئات وذوي الطباع؛ فيأخذ كلٌ منهم ما يناسبه، ولا يبلغ المستوى الأدبي من الكلام إلا وقد أخذ من كل علمٍ بطرف يجعله يتمكن من لغته وأساليبه، ويوصل الرسالة لهذا المستوى البيّن.

ز- المعرفة شرط الفهم: فهي غاية البلاغي وهي حسن الفهم، " الكفاءة التواصلية "[32] فالمعرفة بالرُجوع إلى أصلها اللغوي لها دلالات معجمية واستعمالية ومما يرتبط بالبلاغة منها: هي من "العُرف ضدَّ النكر [والجحود] ، والعرفان خلاف الجهل" [33]، فالمعرفة عامة وتشمل العلم؛ لأنها ضد الجهل "وتَعَرَّفْتُ ما عند فلان، مصدره التعَرُّف: تَطَلُّب الشيء، وعرَّفه الأمر: أعلمه إياه، وعَرَّفه به، وسَمه" [34]. وهي هنا اتصالية وتواصلية وفيها معنى التفاهم مع فلان الذي قد يكون مخاطب، والبحث بتطلُّب الشيء، والوسم تمييز للشيء وتوضيح له عن غيره، مما يدل على فهم خصوصية أو خصائص الشخص أو الشيء أو المقام؛ ففيها تواصل عميق فاحص ودقة ، ويضيف ابن فارس معنى نفسي يفيد الأنس وهو غاية من غايات المعرفة: "المعرفة والعرفان من العلم بالشيء، يدلُّ على سكون إليه؛ لأنَّ من أنكر شيئًا توحَّش منه ونبا عنه"[35]، وقد تقع المعرفة بعد النسيان ، فكأن الشيء اختفى عن الذِّهن؛ ثم تجلى فيه، فصار مُمَيزًا بينًا واضحًا؛ إذن المعرفة عِلمٌ بعَيْن الشيء مُفَصَّلاً عما سواه في الإدراك، ويُميز عما يكتنفه من مُتشابهات، والمعرفة عند جمهور الناس أصلها قد يقع ضروريًّا فطريًّا، وقد يَحتاج إلى النظر والاستدلال، فالمعلومات المتراكمة بالحافظة في أصلها تُسمى معرفة، سواء كانت خبرة تجريبيَّة أو فكري .وللمعارف وسائل استدعاء ومنها السُّؤال، والشعور الإدراك لذَّات أو الأحوال والأفعال إدراكًا مباشرًا، هو أساس كل معرفة [36].والشعور هو الظاهرة الأولى للحياة العقليَّة، أو هو ما تتميز به الظَّواهر الطبيعية، وله عدة مظاهر هي: الحضور الذهني أو الإدراك المباشر، والأثر

(31) الخصائص. ص 239

(32) إشكالية سوء الفهم بين البلاغة العربية والنظريات الغربية الحديثة. سابق. ص93-97

(33) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (198٧م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ط4). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. نشر: دار العلم للملايين – بيروت. ج4، ص 1400-1401

(34) ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي. الأفعال (1983م)، عالم الكتب، بيروت، ، ج1، ص 12.

(35) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص 281.

(36) صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، ج1، ص 703 - 704.

المركزي للتنبيه الحسي، والقُدرة على الاختيار، وإدراك علاقة المدرك بالعالم الخارجي، وقدرته على التأثير فيه[37].

المبحث الرابع- كيفية قراءة هذه النصوص في ضوء النظام المعرفي الذي يربط قضايا الفهم والإفهام والإقناع والتأثير

يُظهر النظام المعرفي العام تسلسل في هذه المفاهيم الثلاثة كما تسلسل من سيبويه الذي هو واحد من أبرز بناة المجد العلمي في الكتاب المؤلف في علوم اللغة ومازال يرفد عقله ميادين العلم ومنها البلاغة التي استنبطها عبد القاهر الجرجاني إعماله لطف النظر معناه تلمس الجهة التي منها تنظر بلطف ودقه حتى تستنبط المفيد أو المنتج من علم الضرورة الذي لا يعترضه شك.[38]

فتبنى البلاغة على فقه المراد من حيث كون منهج التفكير والبحث والنظر والتفتيش مما يؤدي لبيانٍ يسهم في إخصاب وإثراء وازدهار الحضارات الذي يتم بالتداخل المنتج بين فروع المعرفة، مما يشحذ العقل فيتفكر في العلم والعلوم والعالم وينظر ويفاتش؛ وبتعلم النظر الذي يعلم كيفية التفكير لاستنباط واستخراج الأحكام والعلوم.

فاهتم كبار العلماء بمنهج إعمال العقل وطرائق تأتيه واستخراجاته وما زالوا يولون ذلك عنايه لا تقل عن عنايتهم بالمادة العلمية (قواعد العلم وقوامه) فالتفتازاني لما شرح كلمه علم من "علم المعاني": "القواعد والمسائل ومعرفة الجزئيات والكليات وما هو من هذا الباب... العلم ملكه أي طاقة عقلية يقتدر بها على مناقشه قضايا العلم ومشكلاته،[39] فتمييز العلوم في أنفسها إنما هو بحسب تمايز موضوعاتها ،... وتحقيق المقام؛ لأنَّ العلماء لما حاولوا معرفة أحوال الأشياء بقدر الطاقة البشرية على ما هو المراد بالحكمة وصنع الحقائق بحثوا عن أحوالها المختصة وأثبتوها بالأدلة فحصلت لهم قضايا لتلك الحقائق (سموها بالمسائل)، وجعلوا كل طائفة منها علما خاصا يفرد بالتدوين والتسمية والتعليم نظرا إلى ما لتلك الطائفة على كثرتها، واختلاف حمولاتها من الاتحاد من جهة الموضوع، وقد يتحد من جهات أخرى كالمنفعة والغاية ونحوهما، فيؤخذ لها من بعض تلك الجهات ما يفيد تصورها إجمالا، ومن حيث إن لها وحدة فيكون حدا للعلم إن دل على حقيقة مسماه.[40] فالعلم عقل أو عقول تتحرك فيُستَخرج[41]

وهذه بلاغة عبد القاهر كشفتْ الحجب حتى يضع للأمة فكرة وتُرى طرائق استخراج المعرفة من وراء فهم المسألة فلا تكشف الا بعد التحصيل والتدقيق والوصول الى الجذور والمنابع.[42] فكان يحاول الكشف عن الأفكار التي لم يُفطن إليها، فيجعلها محور كلامه، من ذلك أنه لما تحدث عن اشتراك طرفي التشبيه في الصفة على وجه من المقاربة تتبع ذلك في كلام العرب حتى تكاثرت الصور وانجلت عن فروق جديدة وحقائق يتسع فيها الكلام (كلها حقائق وأساسيات في بناء الكلام) فتراه اقتاد القارئ بمهارة عقلية إلى علم حديث لكشف سرٍ هنا وعلته هناك، حتى

---

(37) عبدالكريم، بليل (2009م). المقارنة بين المعرفة والعلم، شبكة الألوكة.

(38) أبو موسى، محمد. مناهج علمائنا في بناء المعرفة. مرجع سابق. ص193

(39) مناهج علمائنا في بناء المعرفة. السابق. ص193 - 194

(40) التفتازاني، مسعود بن عمر [سعد الدين]. شرح المقاصد. تح: عبدالرحمن عميرة. منشورات الشريف الرضي. ط1. ج 1. ص167-174

(41) مناهج علمائنا في بناء المعرفة. ص194

(42) السابق.

هزت الاستحسان والأثر النفسي الذي يجده المتعلم ربطه بطبائع هذه النفس وأن هذا مبنى الطباع وموضوع الجبلة.[43]

والذي يهم في هذا كيف وضح عبد القاهر الجرجاني ارتباط البلاغة بالصناعات في أفق النظام المعرفي حيث ينقل المتعلم "بالقاعدة من باب الشعر والبيان إلى دائرة الصناعات الدقيقة وكل عمل إنساني له اعتبار ويريك أن هذا كله يدخل في هذه القاعدة البلاغية ويخضع لأصلها وكأنه حُفر في طبع الإنسان وان القدرة هناك في هذا الطبع علي بناء البيان تتناغى مع كل عمل شريف وكل بناء دقيق، وهذا يضع لك المهارات أو القدرات الإنسانية والمواهب الفردية في نسق فلسفي وبناء حضاري متماسك متكامل"، وكأنك تتعلم كيف تبني الأنسان وبناء الانسان هو الغاية التي يحط عندها العلم رحله ويلقي العالم عصاه و يستقر به النوى[44]

فهذه العبارة تعبر بدقة عن النظام المعرفي الذي يقوم في النصوص الثلاثة لحد البلاغة وتطبيق علماء الإسلام بضبط المنهج والمبالغة في الدقة والبحث عن وجه الصواب[45]

فالتعاريف تدل على أن البلاغة طلب العلم والكيفية التي يستخرج بها، وأركان العلم -من خلال تطبيق العلماء – سيبويه، وعبد القاهر والتفتازاني: الاستنباط والقياس والعلل. بعد استقصاء والاستقراء مواقع هذا (العلم) في كلام العرب وتتبعه وتصفحه فهذه مادة البحث تقوم أساسا على الخبيء الذي يبحث عنه، ثم إعمال العقل الى أقصى طاقات إعماله وبحذر شديد ويقظة شديدة ثم إن هذا الإعمال والتفكير في التراكيب بالمراجعة وبالتقليب باللسان والعقل والحس والصبر واليقظة حتى يستخرج خبيئها المستكن.[46]

ومن خلال بحث إياد الصلاحي تستنبط كيفية إشارة النصوص الثلاثة التي عرفت مفهوم البلاغة عند الرعيل الأول إلى محاور الفكر الإسلامي العالي، إذ فيها تأكيد ضمني على أهمية بناء الرؤية الكلية للمسلم، في ضوء مقاصد الدين وغاياته: وأن هذه الرؤية تتفاوت بين البساطة واليسر من الجوانب السلوكية والتطبيقية، بينما تتمسك بدرجة عالية من التجريد والتماسك والشمول عند ممارسة التحليل النقدي وصياغة نظرية ترتبط بهذه الرؤية الكلية، وطبيعة النظام المعرفي الإسلامي الفاعل فيها الذي أنتج حضارة بمنهجية التفكير؛ وعليه فإن البحث بحثٌ في الهوية الحضارية للأمة المسلمة، وإسهام في بنائها الحضاري، وبيان للمتطلبات اللازمة لوضع قواعد النهضة والجهود المبذولة من أجلها على أسس معرفية، وإدراك عميق لطبيعة القضايا الكلية، فالنظام المعرفي الإسلامي الواضح سبب من أسباب سيادة الروح الإيجابية، لأنه يزود أتباعه بأساس معرفي صلب ينطلق من إدراك شامل ووعي كليّ لمجمل العناصر والعوامل والمتغيرات، ويتعاملون معها فتكون لهم شروطهم ومواقفهم المبدئية والعملية، ويكون لهم وزنهم وحضورهُم وفاعليتهُم.

فحضارة الإسلام يمكن أن ينافس المعطيات المعرفية للحضارات ويستوعبها ويعيد صياغتها على شكل نظام معرفي يرشد ويقود عبر عمليات تفاعل واندماج طوعي، فيخلص الحضارات من روح الهيمنة والاستغلال والطبيعة الصراعية. وبفضل النظام المعرفي المميز للدائرة الحضارية الإسلامية؛ فإن التخصصات تحمل ملامح الذات الحضارية والهوية المميزة للأمة ورسالتها للعالم.

(43) السابق. 195- 196

(44) السابق. 196

(45) السابق. 197

(46) السابق. 198

ووضوح النظام المعرفي يفيد في منهجية صياغة المشاريع البحثية موضوعا ومناهجا وسياقا، ويكشف جوانب الأصالة والتميز الفكري والثقافي. ويعين هذا الوضوح الباحث على الخوض في عمق الظواهر لإنتاج المعرفة وتوجيهها وتوظيفها لتمكين الأمة من استعادة هويتها، وتأكيد حضورها، وتبليغ رسالة الإسلام التي يحتاجها العالم.[47]

فيظهر النظام المعرفي من الدلالاتِ الغامضة علما من علوم الضرورة وهذا موطن يحبه العقل الحي.

فالبلاغة عامة أو هي بلاغة متخصصين تقوم بالمراجعة بلطف نظر وطول التدبر في العلوم للكشف عن مخبآت وأسرار وفروق فيقيدها العالِم للأمة، وبهذا يمهد سبل العلم لمن يريد أن يسلكها في العلوم والبليغ بمكابدة الغموض والخفاء يتولج إلى فسحة الكشف والإقناع، فيستنبط الدليل ويبدع في صياغة رحلة المشقة والاعتياص الفكري ليبلغ وينشر فصول المعرفة ويجددها ويزحزح حجبها.

ولفهم العلم لابد من تحليل الألفاظ الجارية على ألسنة العلماء واستخراج مضمر أغراضهم التي في طريقة صناعة العلم وكيف تحركَ العقل إلى أقصى طاقاته في وجوه دقيقة المسلك تبين ما في تراث العلماء، وكيف استنبط منه العلم؟ وما استخرج من طريق القياس؟

فالتفكير ثم الروية بالقياس ثم الاستنباط مفاتيح العلم التي تمكن الباحث أن يلج خطوه للحقيقة الغائبة، كأنما يخرج الجوهر.[48] فالروح الفعالة النشطة اليقظة عنصرا قائما في منهج علماء الإسلام. الدين يصلحُ بالعلم المُعتقدْ فالتأثير هنا يتجاوز مجرد الإقناع إلى الالتزام الذي هو رباط يجمع المسلمين في جسد واحد، وعلوم العربية وثقت الدين[49] فحفظ بفضل الله وحفظه. فعلوم العربية والإسلام داخلة في تكوين تفكير الإنسان[50].

وإذن يجب إدراك أنَّ حقيقة تجديد العلوم هي الروح الفاعلة التي تسري في بناء العلوم وتجتهد وتكد لاستخراج حقائق جديدة تقنع بالعلوم الأجيال فتفعلها في الحياة ليرتفع بها البناء متلاحم متماسك دون قطيعةٍ بين يومه وأمسه، فالحرص على الكيان يبدا من الحرص على العلوم التي تغذي الفكر؛ لأنها ذات النفس وكيان الأمة والحضارة واجبنا أن يدرك الإنسان كيف فكر العلماء حتى يبني ويعمر الأرض ويعبد الله كما ينبغي ويجب على العقل المسلم الحي أن يطَّلع على كل تجارب الامم لزياده خبرته بعد تشربه علومه ليحول التجارب إلى طاقة وزاد للعقول كأصول الحضارة الإسلامية الحية[51].

وبهذا يظهر كيف أن المفاهيم الثلاثة للبلاغة ربطت في ضوء النظام المعرفي قضايا الفهم والإفهام بالإقناع والتأثير الذي وصل لحد الاعتقاد، فالفكر الإسلامي هو نشاط العقل المسلم في كل ما حوله لاستنتاج قوانين وسنن وأحكام واضحة تؤدي لفكر حضاري يستمد تصوراته الأساسية لله والإنسان والكون (جانب الأصالة) ويقوم بالتفاعل والتغيير لتقديم المنهجية الإسلامية لتوجيه ذلك الواقع وارشاد من يتفق مع تصوراته الأساسية من ناحية وحركة الحياة من ناحية أخرى (جانب المعاصرة)[52]

---

(47) ينظر: الصلاحي، إياد كريم. (2009م) الحوار في جلباب النقد قراءة في نقد "يحيى محمد" لمشروع الجابري. قسم الفلسفة، كلية الآداب . جامعة واسط. مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية. مج1. ع1 https://lark.uowasit.edu.iq/index.php/lark/article/view/9

(48) مناهج علمائنا في بناء المعرفة. سابق. ص201-205

(49)السابق. ص207

(50) السابق. ص209

(51) السابق. ص209

(52)حسان، حسان عبد الله(2002م). الفكر الإسلامي والنظام العالمي الجديد. المنصورة، دار الوفاء، ص 21

فيعني بالبناء الفكري القناعات العقلية والمعتقدات وما تضمنته من حقائق ومفاهيم ونظريات[53] لحفظ كفاءات الأمة وتوظيفها وإرشادها[54] وفق مراحل التفكير الأربعة:

1- الإدراك المادي: يتفكر الإنسان المعارف التي يكتسبها بالإدراك الحسي أو التخيل.
2- التذوق الانفعالي: يدقق الإنسان النظر في ألوان المعرفة.
3- المرحلة الايمانية: يتفكر الإنسان بصفات الخالق المبدع ويعترف بفضله وعظمته.
4- مرحلة الشهود: يستشعر وجود الله سبحانه وتعالى تأملا وتفكرا وذكرا وحبا[55]

فالمراحل الأربعة تظهر أن الدين يوحد الأمة عقيدةً وعبادةً فتتوحد شعائرها ومشاعرها توحد الجسد الواحد؛ لامتلاكها وحدة البناء الفكري الرابط لمجتمعاتها فالدين هوية وانتماء، وكلما اشتركت المجتمعات الإسلامية في أساليب برامج التعليم والمؤسسات العامة والخاصة وأنظمة الحياة قوي توحد بناؤها الفكري وازداد ثباتا ورسوخا[56]والتجديد في بناء الفكر له تمثلات متعددة منها:

1- اجتهاد جديد في فهم النص.
2- تنزيل النص على الواقع.
3- الانتقال من معالجة المسائل الجزئية في حياة الأفراد والمجتمعات إلى الانشغال بالقضايا الكلية والمسائل العامة للأمة والبشرية.
4- تطوير المفاهيم.
5- تنظيم الأفكار ضمن ضوابط منهجية تحد من الفوضى الفكرية وتوفر إطارا مرجعيا يتحرك فيه الفكر من دون انفلات من ثوابته ومقاصده في تحقيق مصالح الأمة.

ويكون التجديد بالاستفادة من الوسائل والأدوات التي تستجد في واقع المجتمع الإنساني في تعميم المعرفة بالدين والتبشير به والدفاع عنه، وبما يقتضيه الحق من الموازنة والاعتدال بين التمسك بأصول الدين ومبادئه وثوابته، وقواعد الفكر ومناهجه من جهة، والتجدد في تطوير الفهم في ضوء المعارف الجديدة، وتنظيم الفكر في ضوء المناهج والمسائل الجديدة واستعمال الوسائل المتجددة الأكثر نفاذا إلى النفوس والعقول (للتأثير) وإقامة الصلة بمستجدات الواقع وتحدياته، فالبناء الفكري في حالة بناء متواصل، والصورة الذهنية عند الإنسان تنتقل إلى الصورة التي يضعها الإنسان فهمه لعناصر الفكر وبنيته وعلاقاته فالمعرفة البشرية تتراكم وتتطور الخبرات فينمو العلم [57] بالأفكار. إذ بين مالك بن النبي أن ثروة الأمة هي الأفكار الفاعلة[58] وقيمتها في إعادة تحقيق الإشعاع الحضاري الذي يتطلب تنقية عالم الأفكار من كل ما علق به من اختراقات معرفية وثقافية حصلت فيه، واكتشاف الأفكار الصالحة في تراثنا ومصادرنا لتكون سبيلا للتأهيل التربوي الحضاري القائم على الفكري والإسلامي القادر على تفحص الذات واستيعاب المنظومات المعرفية المختلفة[59]

---

(53) حسان، حسان عبد الله. قراءه في كتاب البناء الفكري مفهومه ومستوياته وخرائطه لفتحي حسن ملكاوي. سابق. ص146
(54) السابق. ص149
(55) السابق. ص150-151
(56) السابق.
(57) السابق. ص153-154
(58) ابن نبي، مالك بن الحاج عمر (1986م). ميلاد المجتمع. (ط3). ترجمة: عبد الصبور شاهين. نشر: دار الفكر - الجزائر/ دار الفكر دمشق – سورية. ص 37.
(59) حسان، حسان عبد الله. قراءة في كتاب البناء الفكري مفهومه ومستوياته وخرائطه لفتحي حسن ملكاوي. سابق. ص159

وإذا ركز على ربط النظام المعرفي بالتأثر والإقناع نستطيع أن نخلص إلى أن هذه النصوص تضمنت المفاهيم المتصلة بالبلاغة راجعة إلى منبت معرفي إسلامي أنتجها وأسهم في بلورتها وفق تراكمٍ معرفي ومراسٍ اجتماعي يجعل النص يُدرس باعتباره متنا "حكمة" أو احتمالا "ملتبس، مشكل" أو إقناعا "بلاغة" والخطاب الإقناعي عند فيينو: الخطاب الذي يطبع (يؤثر) المتكلم في الذات المتلقية (فردا أو جماعة). وللخطاب الإقناعي ميزتين:

1- تؤسسه براهين: تنقد، تحكم، تثبت.
2- يحيل دائما على الآخر.

- فالبلاغة -بإيضاح الملتبسات وكشف الخبيء المعرفي ومفاتشته حتى يتضح بالعبارة السهلة الموجزة الواضحة؛ التي ترسخ في العقل وتصل لفؤاد المتلقي وتؤثر في انفعاله، ووفق هذا المنهج الشامل المتوازن الذي بينه علي بن أبي طالب ﷺ تتصل الأفكار القوة الأساسية لتنظيم القوي المجتمعية وتوجهها والإفادة تكون بلغةٍ مضبوطة، ويستنبط هذا من قولي الحسن ﷺ ((البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة، وإبانة عن مشكل)). و((البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة)) -خطاب مترابط في الاتجاه الإقناعي من خلاله تتوالى الحجج في القضايا وفق مفاهيم[60] كبرى في شتى مناحي الحياة؛ فله دور في تعديل الاتجاهات والسُلوك الإنساني أهم غايات النظام المعرفي الإسلامي، الذي ينزل المتلقي منزلة فاعلة فهو يتأثر ويؤثر باللغة بآليات وأدوات الإقناع اللّغوية والبلاغية والتداوليّة.[61]

متعلقات الجوانب التأويلية في هذه النصوص

إن التأويل في البلاغة مسألة جوهرية متعلقة ببناء العلوم في سياقاتها التأسيسية الأولى، وبناءً على أنَّ التأويلية من حيث استئثارها بالقضايا المنهجية المتعلقة بالفهم عامة لها موقع خاص[62]، فمن خلال نصوص حد البلاغة عند علي والحسن ﷺ يظهر أنها لم تغفل جانب التأويل في تلقي النص لارتباطه بالطبيعة الفكرية التي يدركها الحكماء ***"وتقريب بعيد"*** فلن يكون فهم الكلام وخصوصا القرآن جملة وتفصيلا بمجرد السماع؛ لأنه يخاطب متلقي يُعمل عقله ويتدبر محاولا الوصول إلى مراد الله منه بقدر الاستطاعة، فالقرآن والإسلام يُصلحان كل زمان ومكان.

وإلى النصوص الخطاب الديني الأصلي (الكتاب والسنة، البيان والتبيان) عمد العلماء التأويل انطلاقا من تخصصاتهم من أجل الوصول إلى حلول للقضايا التي طرأت عليهم بما يلائم زمانهم ومجتمعاتهم؛ فالتأويل وسيلة فعالة تتصل بصميم حياة الإنسان، فهو البحث المستمر عن المعنى الكامن والمتخفي وراء الظاهر ليتجلى قصد الوصول إلى الغرض والمقصد من الكلام؛ وبذلك يكون التأويل الوسيلة والأداة التي تمكِّن من الولوج إلى عالم النص، والوصول إلى أغراضه ومقاصده.

التأويل لغة: "هو نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأَصلي إِلى ما يَحتاج إِلى دليل لولاه ما تُرِك ظاهرُ اللفظ."[63]
فالنصوص عالجت سوء الفهم بالتأويل الذي تضمنته "البلاغة إيضاح الملتبسات وكشف عوار الجهالات، بأسهل ما يكون من العبارات" و"البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة، وإبانة عن مشكل". و"البلاغة تقريب بعيد الحكمة

(60) يستفاد من: شلباب، جمال (2016م). استراتيجية الإقناع في الخطاب القرآني السور المكية أنموذجا(ماجستير). جامعة محمد بوضياف -الجزائر. ص4
(61) السابق، ص 156
(62) إنقزّو، فتحي. الفهم والتفسير: مسائل المنهج وأصولها التأويلية في فلسفة ديلتاي. مجلة تبيَّن. ع 31 / 8 http://eds.b.ebscohost.com.
(63) لسان العرب. مرجع سابق. مادة: أول. ج:11 ص: ٣٣

بأسهل العبارة" فمجالات التأويل تكمن في تفعيل الفهم وما يرتبط به في العلوم الإنسانية "سواء علوم اللغة أو الدين أو الحياة باعتبار أنَّ نشأة التأويل متصلة بالبحث عمّا استشكل من الحياة في القرآن الكريم فيما جنَّ في دلالات المعاني ودلائل إعجازه ليدرك الناس أسرار البلاغة ويواكبوا التطورات الحاصلة في الحياة والعلوم."[64]

والذي يهم في هذا البحث هو علاقة الفكر باللغة حيث ستظهر أهمية البلاغة في إيصال الفكر، فالأفكار لابد أن تظهر باللغة، والفكر مرتبط باللغة من البعد التاريخي والبيان ونظريات العلاقة بينهما، وارتبط الفكر بارتقاء مهارات اللغة كما يحذر من العبث اللغوي والفكري وخطورته على التفكير مما لابد معه من "كشف عوار الجهلات"، والتفكر درجات في اللغة منه الكلام ومنه حديث النفس. وأهم ارتباط بين اللغة والفكر هوما يباشر ازدواجية اللغة وأثره في الفكر والثقافة والهوية فالازدواجية اللغوية تمثل خطراً كبيراً يؤثر في الازدواجية الفكرية التي تؤثر على تشكيل العقل المسلم وما نشأ عليه المجتمع؛ وبناء عليه حصل الازدواج في الهوية والانتماء الديني بسبب الثقافة المعاصرة التي امتد تأثيرها إلى النظام المعرفي وتشكل العقل الإسلامي والنظام التربوي والتعليمي حتى النظام الاجتماعي نفسه ونظام القيم وكلها موضوعات جديرة بتناول لاتصالها بحالة عقل المسلم و حالة بنائه الفكري ولعل من أبرز ما فرض هذا الانقسام وتلك الازدواجية الاستعمار والجهل.[65]

المبحث الخامس- مفهوم البلاغة وما يرتبط به من وظائف ومتعلقات

أُولَ مفهوم البلاغة من خلال النصوص التي عَرَفَتْ البلاغة عند علي والحسن (رضي الله عنهم) بالبيان الواضح النافع للشرية والقدرة على تحسين الكلام بما يناسب المخاطب. **ويُربط هذا المفهوم بالوظائف البلاغية المرتبطة بمفاهيم ومتعلقات الفهم والإفهام والإبانة والإقناع والاقتناع** على النحو الآتي:

فالوظيفة الأهم هي التواصلية التي يكون فيها الكلام البليغ نقطة اتصال وتواصل بين المرسل والمتلقي، وتستند هذه الوظيفة على الأساس التفاعلي الاجتماعي، والغرض من هذه العملية التواصلية التفاعلية ما يتوخاه المرسل ويستهدفه من مقاصد: إن تأثيرا وإن إمتاعا وإن إقناعا وإن تغييرا في السلوك العاطفي والفكري، تترتب عليها الكثير من الوظائف ...

فالبلاغة إيضاح وإفصاح وإبانة وكشف عن مقاصد وأغراض وعلوم يرفع بها اللبس الحاصل في ذهن المتلقي أو الذهنية العامة، فإفصاح القول عن حكمة مستغلقة يقوم على كشف الحجب وفك مغاليق هذه الحكمة المستترة عن المتلقي والمتمنعة عليه، ومحاولة كسر الحواجز التي تحول دون الوصول إليها، وكذا الإبانة عن مشكل، فإن هذا المشكل الذي يعيق حركة ذهن المتلقي لا يمكن أن يزاح إلّا بالإبانة، ويأتي هنا دور البليغ العالم في التوضيح والكشف وإيجاد الروابط والحلول لتقريب هذا المشكل إلى ذهن المتلقي، ومن ثم يدرك البليغ بغيته من رسالته إن فهما أو إفهاما تأثيرا أو إقناعا أو حجاجا.

ثم تأتي ضمنا العلاقة بباقي الوظائف كالجمالية: التي تبرز مكامن الجمال في " الحكمة" من وجهة النظر البلاغية، واستكناه مقوماته في الكلام البليغ المصور للخفي في صورة الظاهر، وربطت هذه الوظيفة بالشعر غالبا الذي يصور الأشياء المعنوية والمجردة ويجسدها للإحساس، فتستحيل المعاني بمقدرة الشاعر وبراعته التصويرية إلى صور واضحة بينة ظاهرة، فالشعر بهذا إفصاح عن مشاعر وتقريب للمعاني المتنافرة، وإبانة عن مشكل.

---

(64) شقرون، لويزة (2013م). قواعد التأويل عند عبد القاهر الجرجاني (ماجستير). جامعة مولود معمري-تيزي وزو-كلية الآداب واللغات. ص4

(65) حسان، حسان عبد الله. قراءة في كتاب البناء الفكري مفهومه ومستوياته وخرائطه لفتحي حسن ملكاوي. سابق. ص156- 158

وقد تكون البلاغة من حديث النفس فترتبط بالوظيفة التعبيرية؛ لتعكس نفسية المتحدث وصراعاته الداخلية، وآرائه وأفكاره وتوجهاته وفلسفته الخارجية، أو نظرته للخالق والكون والإنسان، فالنص يعبر ويظهر حكمة النفس ومشاعرها بالتكثيف الدلالي الذي يعد البصمة المائزة لثقافة المبدع وفلسفته الخاصة للأشياء والعوالم، بمعنى أن الإفصاح يختلف من بليغ إلى آخر، فكل إفصاح وإبانة تحمل في تفاصيلها عواطف وشخصيةُ وتصورات ذلك البليغ، وتكشف عن تكوينه الثقافي.[66] فنفسُ الإنسان هي الفَيْصل في الحُكم على منزلته - عند العقلاء - كما قال الشافعيُّ حينما دخل مدينةً ولم يعرفه أحد لمظاهر الفقر عليه:

عليَّ ثيابٌ لو تُباع جميعها بفلس لكان الفلس منهنَّ أكثرا

وفيهنَّ نفسٌ لو يُقاس ببعضِها جميع الورى كانت أجلَّ وأكبرا[67]

وبالوظائف تربط أقوال العلماء مفهوم البلاغة بوضوح المعنى، وسهولة مأخذه، واخراجه من اللبس والغموض كما قال "أبو هلال العسكري": "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتَمَكُنِهِ في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[68]

ومن الوظائف التي تحققها البلاغة في هذه النصوص الوظيفة الحجاجية: فمن مفهوم البيان الإجرائي الذي يعتمد وظيفتي (الفهم والإفهام) عند الجاحظ قد ترتقي الوظيفة الإقناعيَّة للإفهام إلى الحجاج.[69] إذا تضمن التواصل مؤهلات وصفات مقنعة ومستميلة، وخلا من المعوّقات التي تحول دون ذلك " السهولة في إحدى درجاتها". يصبح الدور الإيجابي للمتلقي البليغ[70]الذي يكشف عوار الجهالات بالحجة؛ فللحجة دور أساس في تحقق الإفهام والإقناع، وبها يكون:

- التثبت. -التوافق. -التميز. ومؤدى عنصرا الفهم والإفهام إلى مسألة التثبيت أعلى درجة للإقناع بالبيان، فيثبت المعنى في قلب المتلقي، ويتأكد في ترسيخ ما يسعى المخاطب تبليغه في ذهن السامع.

وسبل الاستنباط والاستنتاج للمعاني من نصوص علي والحسن ﷺ

تظهر من مطابقة المفاهيم لمدلول البلاغة سبل الاستنباط والاستنتاج للمعاني؛ فالمفاهيم في بيان موضوع البلاغة وحدودها تسعى إلى التأكيد على سلطان الكلام جيد النجاعة.[71] إيضاح وكشف وإفصاح وإبانة وتقريب وهذه الحلول إنما هي استنباط واستنتاج للمعاني وما فيها من تفاعل وتواصل لفظي (بأسهل عبارة)، وعقلي (يتجلى في مفاعلة الحكمة) ؛ فتتضمن معرفة أقدار المعاني ليكون النص واضح يسفر عن دلالاته؛ لأن أقدار المعاني مدارها وعي المتكلم بأقدار وأحوال المستمعين، ومراعاة المقامات، وموازنة المعاني والألفاظ على أقدارهم وخصوصياتهم؛ فمدار الشرف [كما بين بشر بن المعتمر] على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال....

---

(66) ينظر: المسودي، أحمد إبراهيم (2020م). دراسة لتعريف الحسن علي بن أبي طالب للبلاغة ومدى تحقيقه للوظائف البلاغية مجلة معكم.https://maakom.com

(67) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، الوراق (186/1)

(68) الصناعتين. مرجع سابق. ص10.

(69) يقول: "مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع" الحيوان

(70) أبومصطفى، أيمن (2013م). تأصيل الحجاج في البيئة العربية. ملتقى أهل التفسير. 29/ 03-pm02:53

(71) جعفر لعزيز-محمد أيت عبو. الإفهام والإقناع في بلاغة الجاحظ: الأسس والتجليات (ماستر تأويليات الخطاب والتواصل).. إشراف الأستاذ: د/ بقشي. المدرسة العليا للأساتذة - جامعة محمد الخامس – الرباط. https://www.alukah.net/literature_/language/0/124919/

فإن أمكنك -أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، إلى -أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام[72].

ومعنى البليغ التام أي مَنْ جَعْلَ الكلام بدرجة الوضوح والكشف والإفصاح والإبانة والقرب والسهولة المناسبة لحق المقام وحق من فيه؛ فبهذا أوصل علماءُ العلوم العربية قريبةً بليغةً مع ما تحمله من خبيء - وذكر في التعاريف الثلاثة "الملتبسات" "حكمة مستغلقة" "بعيد الحكمة"-وبطول ملابسة كلامهم البليغ نصل لما فيه من [بلاغة] يتم بها الفهم والمفاتشة حتى تستنبط المسائل من العلم بناء وصياغة؛ فيتم الإفهام وينمو الفكر والعلم يتسع ويتجدد وتدرك أسرار الأفكار فيه بطول المراجعة، ومعرفة حركة العقل في علاج المعرفة أن تروم طريق العقل الفذ[73].

وعليه تظهر في النصوص التي عرفا بها البلاغة في صدر الإسلام الكيفية التي يمكن أن تأول بناء التفكير البلاغي وفق هذه الرؤية[74] التي تكمن في مراجعة كلام العلماء البليغ وما انتفعت بتجربته العقلية الفذة التي في كتب العلم -ينتفع الطالب- وتظهر له بعض أسرار أو مسالك " منهج التفكير والبحث والنظر والتفتيش" و تعليقات العلماء جزءا أساسيا منها يرجع إلى ذكاء فطري مع قراءة فقهية تفاعلية تساعد الطالب على التعمق لاستنباط واستنتاج المعاني الناجعة الحكيمة في أسهل عبارات.

وممن يعد -سنة حسنة يقتدى بها **استنباط الشافعي في كتابه (الرسالة)**، - مؤسس منهج اعمال العقل في الأبواب التي تعبد الله بها عباده وبَيَّنَ أنَّ الابتلاء بمقدار محاولة ضبط العمل العقلي واستقامته وموضوعيته، وصحة منهجه وسداد النتائج مما يتفاضل الناس فيها كالعبادات العملية. وليس أجلَّ من تعلم التفكير منسكا.[75] ومن هذا الأصل استخرج الشافعي أصول الحياة الفكرية في أمة الإسلام فيذكر مَوْضِعَي اجتهاد في قوله تعالى في صيد المُحْرِم: ﴿لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾:[76]

أن يجتهد من قتل الصيد في معرفة العدل وما تتوفر فيه من صفات.

أن يجتهد العدل في تقدير الشبيه والمثيل من النعم.

وبهذا فإيضاح الحكم الشرعي منوطا بالاجتهاد والبحث والتجرد وإعمال العقل. وكذلك كشف عن حكمٍ دقيق في تولية الوجوه نحو القبلة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [77] فاستدل على أن هذا الدليل يدل على أن الصلاة لا تتم إلا بإعمال العقل، وأن الإنسان المسلم عليه أن يتجه للقبلة ، ويجتهد في ذلك بالاستدلال والانتفاع بالنجوم يهتدي بها؛ لأنها من العلامات الدالة (النصبة عند الجاحظ) ، قال الشافعي " فخلق لهم العلامات ونصب لهم المسجد الحرام وأمرهم أن يتوجهوا إليه، "وإنما توجههم إليه العلامات التي خلق لهم والعقول التي ركبها فيهم التي استدلوا بها على معرفة

(72) ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر (1998م). صحيفة بشر. البيان والتبين.. تح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. ج1. ص135-136

(73)مناهج علمائنا في بناء المعرفة. سابق. ص 188

(74) محمد سعد، محمود توفيق (1432هـ). سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة "دراسة منهجية تأويلية ناقدة" (ط1). مكتبة وهبة. يؤسس في هذا الموضوع من الناحية التطبيقية.

(75) السابق، ص189

(76) القرآن الكريم، المائدة 95

(77) القرآن الكريم، البقرة 150

العلامات"[78] وبهذا الحكم وشبهه اتضح كيف أنَّ التفكير والاستنباط وإعمال العقل والتحري للفائدة- بتوصيل معلومة أوحل اشكال أو كشف عوار جهال-بأي شيءٍ مما يفيد الإنسان ويسهل عليه في هذه الحياة جزء من التعبد لا يتم الواجب والركن إلا به، ويدرك من هذا بيان أن إعمال العقل في موضعه مهم وأن بناء التفكير البلاغي مفعلٌ في حياة المسلمين العلمية والعملية[79] ووضُوحها يكون بالعبارة البليغة.

الخاتمة.

خلاصة نتائج البحث

تشير دراسة بناء التفكير البلاغي (عند علي بن أبي طالب وابنه الحسن ﷺ) إلى أن أهم النتائج ما يلي:

1. أن البلاغة في القرن الأول من المفاهيم التواصلية التأثيرية التداولية، قوامها الحجة المقنعة، والألفاظ الحاملة والمعاني القائمة في الألفاظ،
2. أن هدف البلاغة الإيضاح للإفهام الذي يقود للإقناع بمراعاة المقال للمقام وفق رؤيةٍ شمولية للنظام المعرفي الإسلامي.
3. أنَّ مفاهيم البلاغة عند الصحابة دلت على أن بناء التفكير البلاغي يعتمد على تصور بياني متكامل شامل.
4. أن بناء التفكير عملي يعين على حل المشكلات بإيضاح المعنى الملتبس، وكشف الخبيء المعرفي ومفاتشته وبيانه بالعبارة السهلة الموجزة البليغة المناسبة.
5. ودلت الدراسة على أن حدَّ البلاغة يحتوي منهج فكري عملي متكامل بلغة واعية فاعلة، حجاجية تعتمد الاستدلال والاستنباط وفق تأويلٍ منهجي.

وهذه النتائج تم التوصل إليها انطلاقا من حدود الدراسة برصد مفاهيم البلاغة التي في نص علي بن أبي طالبﷺ: ((البلاغة إيضاح الملتبسات وكشف عوار الجهالات، بأسهل ما يكون من العبارات))، وقولي الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ: ((البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة، وإبانة عن مشكل.)) ((البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة)) وبالتعرف على موقع هذه النصوص من الاستدلال والفهم والإفهام، وبتأويل مفهوم البلاغة، ومعايير الفهم والإفهام فيها.

وبيان كيف تقرأ هذه النصوص في ضوء النظام المعرفي الذي ترتبط فيه قضايا الحجاج من الفهم والإفهام والإقناع والتأثير. برزت متعلقات الجوانب التأويلية المضبوطة في هذه النصوص. كما تبين ارتباط المتعلقات الحجاجية التأثيرية بمفهوم البلاغة؛ فالوظائف البلاغية هي الفهم والإفهام والإبانة والإقناع والاقتناع وتكون بسلوك سبل الاستنباط والاستنتاج للمعاني التي تفعل العقل ليسترشد بالعلامات المبثوثة حوله في الكون، ويحل الإشكاليات أيًّا كانت بتأويل ما يحتاج لمعانٍ كامنة وفق الرؤية الفكرية الإسلامية.

وهي رؤية من أسسها البناء الفكر العملي الذي يحقق الخلافة والعمارة الأخلاقية بعبودية تامة، يتحقق من ورائها امتلاك الفكر البلاغي المسلم تصورا متكاملا- عن الكون والطبيعة والإنسان والخالق- و بهذا يتحقق فهم المعجز ودلائل إعجازه، وعليه فبناء التفكير البلاغي العربي الذي بحث في نصوص علي بن أبي طالب وابنه الحسن أدرك أن بلاغتهما مرتبطة بالاستنباط والإبانة والحجاج، ونجاعة الإيجاز الحكيم؛ مما حقق أهم أهداف الدراسة

---

(78) الشافعي، محمد بن إدريس (1938م). الرسالة (ط1). تح: أحمد شاكر. نشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاد – مصر، باب كيف البيان. هامش 4: ص25

(79) مناهج علمائنا في بناء المعرفة. سابق. 190

بمنهجية علمية تعمل الفكر البلاغي تأملا فاحصا في مفاهيم البلاغة، وارتباطها بمسائل الاستدلال والإفهام والفهم ، وبتتبع البناء البلاغي والبناء على المعرفة السابقة تبين أن مفاهيم البلاغة منذ الرعيل الأول عبارة عن بيانٌ فكري دقيق شامل يحلِّ المشكلات ويكشف حقائق جديدة تستنبط أن البلاغة هي ما يحتاج الفكر الإنساني حكمة وخبرة ومعرفة بالمنهجية التحليلية في المنهج العلمي.

التوصيات والمقترحات.

بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها توصي الدراسة بالتوسع في مساحة الدراسة البلاغية بمراجعة التراث، ففي دور التعليم يُدرَّس جوهر العلم (المسائل الأساسية) ويبقى ما وراء ذلك مفتوحا؛ ليشمل كل دراسة تستخرج مساحات أسرار البيان، وعمق أسسه البنائية، وعماده العقلي الذي لا يتم العبارات البليغة الحكيمة إلا بإعمال التفكير والاستفادة مما سخر الله له في الكون والحياة، وهذا هو معنى البلاغة عند عبد القاهر؛ لأنها كل معرفة تكتشف في الكلام فضلا يفضل به القائلين على بعض.[80]

هذا، وخير ختام الدعاء، فاللهم احفظ الأقلام من "فضول الباطل واغسل قلوبنا وعقولنا من غباوة الجهالة وغبرات الضلالة".

قائمة المراجع.

- ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي. الأفعال (1983م)، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص 12.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1988م) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر(ط2). تح: خليل شحادة. دار الفكر- بيروت.
- ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، الوراق (186/1)
- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص 281.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (1414ه) . لسان العرب (ط3). دار صادر
- ابن نبي، مالك بن الحاج عمر (١٩٨٦م). ميلاد المجتمع. (ط3). ترجمة: عبد الصبور شاهين. نشر: دار الفكر - الجزائر/ دار الفكر دمشق – سورية.
- ابن نبي، مالك بن الحاج عمر (2002م). مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. (ط1: 1988م). إشراف وتقديم: المحامي عمر مسقاوي. نشر: دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان / دار الفكر دمشق – سورية.
- أبو موسى، محمد (1418ه). مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني (ط1).مكتبة وهبة - القاهرة.
- أبو موسى، محمد(1419ه).. مناهج علمائنا في بناء المعرفة. محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية. جامعة أم القرى.
- أبومصطفى، أيمن (2013م). تأصيل الحجاج في البيئة العربية. ملتقى أهل التفسير. 29/ 03-pm02:53
- إنقزّو، فتحي. الفهم والتفسير: مسائل المنهج وأصولها التأويلية في فلسفة ديلتاي. مجلة تبيَّن. ع 8 / 31 http://eds.b.ebscohost.com.
- التفتازاني، مسعود بن عمر [سعد الدين]. شرح المقاصد. تح: عبد الرحمن عميرة. منشورات الشريف الرضي. ط1. ج1

(80) أبو موسى، محمد. مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، مكتبة وهبة - القاهرة. ط1، 1418ه، ص11

- الجاحظ، عمرو بن بحر (1424هـ). الحيوان. (ط2) بيروت: دار الكتب العلمية
- الجاحظ، عمرو بن بحر (1998م). البيان والتبين.. تح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. ج1.
- جعفر لعزيز-محمد أيت عبو. الإفهام والإقناع في بلاغة الجاحظ: الأسس والتجليات (ماستر تأويليات الخطاب والتواصل).. إشراف الأستاذ: د/ بقشي. المدرسة العليا للأساتذة - جامعة محمد الخامس – الرباط. /https://www.alukah.net/literature_language/0/124919
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (١٩٨٧م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ط4). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. نشر: دار العلم للملايين – بيروت. ج4
- حسان، حسان عبد الله (2017م) قراءه في كتاب البناء الفكري مفهومه ومستوياته وخرائطه لفتحي حسن ملكاوي. مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقا) 22(87)
- حسان، حسان عبد الله(2002م). الفكر الإسلامي والنظام العالمي الجديد. المنصورة، دار الوفاء.
- دربالي، وهيبة. إشكالية سوء الفهم بين البلاغة العربية والنظريات الغربية الحديثة. جامعة المسيلة- الجزائر. الخطاب. مج14. ع1
- الشافعي، محمد بن إدريس (١٩٣٨م). الرسالة (ط1). تح: أحمد شاكر. نشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاد – مصر
- شقرون، لويزة (2013م). قواعد التأويل عند عبد القاهر الجرجاني (ماجستير). جامعة مولود معمري-تيزي وزو- كلية الآداب واللغات.
- شلباب، جمال (2016م). استراتيجية الإقناع في الخطاب القرآني السور المكية أنموذجا(ماجستير). جامعة محمد بوضياف -الجزائر.
- الصلاحي، إياد كريم. (2009م) الحوار في جلباب النقد قراءة في نقد "يحيى محمد" لمشروع الجابري. قسم الفلسفة، كلية الآداب . جامعة واسط. مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية. مج1. ع1
- صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، ج1، ص 703 - 704.
- عبد الكريم، بليل(2009م). المقارنة بين المعرفة والعلم، شبكة الألوكة.
- العسكري، أبو هلال (1952م). الصناعتين الكتابة والشعر(ط1). تحقيق: البجاوي، علي – الفضل، محمد إبراهيم. القاهرة. نشر: عيسى البابي الحلبي.
- محمد سعد، محمود توفيق (1432هـ). سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة "دراسة منهجية تأويلية ناقدة" (ط1). مكتبة وهبة
- المسودي، أحمد إبراهيم (2020م). دراسة لتعريف الحسن علي بن أبي طالب للبلاغة ومدى تحقيقه للوظائف البلاغية مجلة معكم. https://maakom.com